

عن الله وعن أنبيائه وعن أوليائه

عبد العزيز بن عبد الله الحَصِين

بِإِذْنِ الشَّيْخِ

بجمل مسالم طبع هذه الرسالة
الطبعة الثالثة
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٦/٨/١١١٢)

رقم التصنيف	٢٤٠
المؤلف ومن هو في حكمه	عبد العزيز بن عبد الله الحصين
عنوان المصنف	حق الله وحق أنبيائه وحق أوليائه
الموضوع الرئيسي	١ - الديانات
	٢ - العقيدة الإسلامية
رقم الإيداع	(١٩٩٦/٨/١١١٢)
بيانات النشر	عمان : دار البشير
* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية	

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) تليكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / المبدي
عمان - الأردن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له .

ونشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ . ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أما بعد: فقد رأى لي الشيخ / إسماعيل بن سعد بن عتيق أثناء قيامه على الدعوة إلى الله على بصيرة، في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، أن أعيد طبع رسالة في الذب عن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك والبدع، كتبها قبل مائتي سنة تقريباً أحد آبائي، صلة للرحم ومساهمة في الدعوة.

ورأيت الاستجابة شاكراً وداعياً لأخي الكريم في الدين والدعوة، وناشراً فضل الله ونعمته على أسرتي بأن يكون فيها: مثل العم عبدالعزيز صاحب الرسالة ومبعوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود بالدعوة مرتين إلى أشرف مكة، وشيخ عدد كبير من العلماء والقضاة، ومثل العم محمد بن عبد الله الحصين قاضي القرائن في عهد اثنين من ولاية دولة التوحيد والسنة، ومثل والدي عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين الذي أبى القضاء، وعمل عشرات السنين في أعمال الحسبة ثم رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شقراء، ثم اختار الله له الإقامة بقية سنوات حياته في المدينة النبوية والوفاء فيها على باب المسجد النبوي مقبلاً على صلاة العصر غير مدبر، ولعل الله بذلك قد استجاب الدعاء المأثور الذي كان يكثر ترديده: «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور

كلّهما، واجعل خير أيامنا يوم لقاك» وقد توفاه الله في الثمانين من عمره
في خير صحة من عقله وجسمه، غفر الله للجميع وأسكنهم فسيح
جناته.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام والبركة على محمد وآله.

سعد الحصين

* * *

تعريف بالمؤلف من كتب المؤرخين:

«ولي قضاء الوشم لعبدالعزیز بن محمد آل سعود وابنه سعود وابنه
عبدالله بن سعود.

كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً زاهداً ورعاً حليماً لا ينتصر
لنفسه، محبباً إلى الناس، ليس للدنيا عنده قدر ولا يركن إليها ولا
[ينصرف] لها، بل قطع دهره في كتب العلم وطلبه وبذله، وكان إذا
دخل عليه (وقت الثمرة) قوت سنته من البرّ والتمر من بيت المال وبقي
عنده شيء وقت الثمرة الثانية أعطاهم إياه ولا يترك منه شيئاً. وكان
رحمه الله فاضلاً مهيباً فقيهاً، وجعل الله في علمه البركة للناس وانتفع
به رجال كثيرون في جميع النواحي ممن ولي القضاء وغيره.

وكان يحب طالب العلم محبة عظيمة - كأنه ولده - بالتودد إليه
وتعليمه وإدخال السرور عليه، والقيام بما ينوبه من بيت المال.

وكان مجلسه للتدريس في الفقه وقت طلوع الشمس إلى ارتفاع

النهار، وله مجالس في التدريس غير ذلك للعامّة وقت الظهر والعصر وبين العشاءين.

أخذ الفقه في صغره عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل قاضي بلد القرّين في ناحية الوشم، ثم تفقّه وقرأ على [مجدّد القرن الثاني عشر] محمد بن عبدالوهاب. أقام مدّة سنين يقرأ عليه، وكان يكرمه و[يقدره] وهو الذي استعمله قاضياً في تلك الناحية.

وأخذ عنه العلم عدد من قضاة المسلمين منهم: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين قاضي ناحية الحجاز وما يليه زمن سعود بن عبدالعزيز، وعُمان زمن عبدالله بن سعود، والوشم وسدير لتركي بن عبدالله ثم لفیصل بن تركي.

أخذ عنه أيضاً الشيخ إبراهيم بن سيف قاضي ناحية سدير لعبدالله بن سعود والرياض زمن تركي بن عبدالله وفيصل بن تركي.

وأخذ عنه الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور قاضي جلاجل زمن تركي، وناحية سدير زمن فيصل بن تركي.

وأخذ عنه العالم في بلد القرّين من ناحية الوشم أخوه محمد بن عبدالله الحصين زمن سعود وابنه عبدالله.

وأخذ عنه الشيخ علي بن يحيى بن مساعد القاضي في ناحية
سدِير زمن سعود.

وأخذ عنه أيضاً عبدالله بن عبيد قاضي ناحية الجبيل زمن سعود
وابنه عبدالله، وجلجل في أول ولاية تركي بن عبدالله.

وأخذ عنه محمد بن سيف قاضي بلد ثرمدا، وإبراهيم بن حجّي
قاضي بلد ثرمدا، وعثمان بن عبدالمحسن أبا حسين قاضي بلد
أشيقر، ومحمد بن نشوان قاضي حريق نعام في ناحية الجنوب، وأخذ
عنه عبدالله القضبي وقد أبى تولي القضاء ولكن ذكر لشهرته، وأخذ
عنه عبدالكريم بن معقل صاحب بلد القرين، أبى القضاء أيضاً.

وأخذ عنه ممن لم يل القضاء الجم الغفير رحمه الله وعفا عنه،
(الصفحات ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ من عنوان المجد في تاريخ نجد
لعثمان بن عبدالله بن بشر، المجلد الأول ط ١٣٩٤هـ).

«أوفده الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود سنة ١١٨٥هـ إلى
شريف مكة أحمد بن سعيد، وكان أول موفد رسمي للدولة السعودية
إلى مكة للاتصال بعلمائها وبيان حقيقة الدعوة التجديدية» (جـ ١
ص ٦٤ من تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد، ط ١٣٩١هـ).

«فاقتنع علماء مكة وعرفوا أن هذا دين الله، وقالوا: هذا مذهب الإمام المعظم، وانصرف عنهم الشيخ عبدالعزيز مبجلًا معزًا».

ثم أوفده عبدالعزيز عام ١٢٠٤ إلى مكة عندما طلب غالب شريف مكة إرسال رجل عارف بالدين يعرفه حقيقة أمر الدعوة التجديدية، فأكرمه الشريف غالب واجتمع معه مرّات فعرف الحق وأذعن له وأقرّ به».

(من تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين بن غنام ج١ الصفحات ١٣٣ و١٧٤ ط ٢، ١٣٨١ - ١٩٦١ تحقيق وتحرير الدكتور ناصر الدين الأسد).

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء، المنزه عن
الاشباه والنظراء، الذي سبق علمه في بريته بحكم القضاء من السعادة
والشقاء، وأكمل لنا ديننا ولم يجعله ملتبساً علينا، وتفضل فرضي لنا
الإسلام ديناً فنحمده على ذلك ونشكره، ونؤمن به ونتوكل عليه،
ونتوب إليه ونستغفره، وصلى الله وسلم على المبعوث بالمحنة
البيضاء والشرعة الغراء، محمد أفضل الرسل والأنبياء، وعلى آله
وأصحابه الأتقياء صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم البعث
والجزاء.

أما بعد: فإن العبادة التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله
ويرضاه، هي الغاية التي خلق الله لها جميع العباد من جهة أمر الله
تعالى ومحبه ورضاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وذلك أن الدين كله

بأنواعه لله وحده، والأمر كله لله مختص بجلاله وعظمته، ليس للخلق منه شيء البتة، لا مَلِك ولا نبي ولا ولي.

وحق الله تعالى غير جنس حق المخلوق.

[حق الله]:

فأما حقه تعالى فتوحيده وإفراده بعبادته التي شرعها لعباده وخلقهم ليعملوا بها، وإخلاصها له - تعالى وتقدس - بعد نفيها عن غيره.

والدعاء بما لا يقدر على جلبه ودفعه إلا الله مختص به، لا يجوز أن يدعى في ذلك غيره تبارك وتعالى، ورجاؤه فيه والتوكل عليه، وذبح النسك، والنذر لجلب الخير أو دفع الشر، والإجابة والخضوع كله لله، مختص بجلاله كالسجود والتسبيح والتكبير والتهليل، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسٌ طَرَفُهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، وقال تعالى لأفضل خلقه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا. قُلْ إِنِّي لَنْ يَجْبِرَنِي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ

ملتحدًا، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾.

[حق الأنبياء]:

وحق الأنبياء الإيمان بهم وبما جاءوا به واتباع النور الذي أنزل معهم، وتعزيرهم وتوقيرهم وموالاتهم، وتقديم محبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين، والإيمان بمعجزاتهم وأنهم بلغوا رسالات ربهم وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وأن محمدًا ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبتها الله سبحانه في كتابه [وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم] وهي من بعد إذن ربهم لهم فيها لمن يرضى له الشفاعة، وأن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه هو لنبينا محمد ﷺ.

[حق الأولياء]:

حق أولياء الله محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكراماتهم، لا عبادتهم ليجلبوا لمن دعاهم خيرًا لا يقدر على جلبه إلا الله تبارك وتعالى، أو يدفعوا عنهم سوءًا لا يقدر على دفعه أو رفعه إلا الله.

الدعاء هو العبادة:

والدعاء عبادة مختصة بجلاله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، فسماه عبادة وأضافها إلى نفسه، وروى النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح^(١). وما في القرآن من دعاء أو دعوة فهو إما بمعنى: «إسألوني أعطكم»، كما في هذا الحديث وقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾، وإما بمعنى امتثال الأوامر واجتناب المناهي كما في قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ أي يثيبهم على أحد التفسيرين. [وإما بمعنى الهداية إلى الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾].

[شرك الواسطة هو الشرك الأكبر]:

ليس من حق أحد أن يتخذ واسطة بين الله وبين من دعاه

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩) و(٣٢٤٧) و(٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤).

كالواسطة بين السلطان ورعيته، فإن ذلك دين المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكَ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، وإنما ذكر الله ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء، ويصورون صورهم محبة لهم، ويرجونهم، ويلتجئون إليهم ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه، وذلك بطرق مختلفة، ففرقة قالت: ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله ورجائه بلا واسطة تقرّبنا إليه وتشفع لنا عنده لعظمته، وفرقة قالت: الأنبياء والملائكة ذوا وجهة عند الله ومنزلة عنده، فاتخذوا صورهم [وأنصأ بهم] من أجل حبهم لهم ليقربوهم إلى الله زلفى، وفرقة جعلتهم قبلّة في دعاء الله، وفرقة قالت: إن على كل صورة مصورة على صور الملائكة والأنبياء وكيلاً موكلًا بأمر الله فمن أقبل على دعائه ورجائه وتبتّل إليه قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بأمر الله وإلا أصابته نكبة بأمره.

فالمشرك إنما يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ويلتجئ إليه فيه ويرجوه منه لما يحصل له في زعمه من النفع، والنفع لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع: إما أن يكون مالكا لما يريد منه داعيه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا، فإن لم يكن

شريكاً كان ظهيراً، فإن لم يكن ظهيراً كان شافعياً، فنفى الله سبحانه هذه المراتب الأربع عن غيره نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة، ونفى الشفاعة عن غيره [إلا بإذنه] بقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، فأثبت سبحانه وتعالى ما لا نصيب فيه للمشرك البتة، وهي الشفاعة بإذنه لمن رضي الله له الشفاعة، سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولهذا لما قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله: أربنا قريب فتناجيه أم بعيد فتناديه، أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ مِمَّا يَتَّبِعُونَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْآخِرِينَ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُمُ شَيْءٌ وَلَا يَعْلَمُونَ. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾.

إفراد الله بالعبادة هو الفارق بين الإيمان والشرك:

فليس الموحّد إلا من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى ألوهيته المقتضية لعبادته بمحبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر ذلك له وحده والمولاة في ذلك والمعاداة فيه عالماً بالفرق بين حق الخالق وحق المخلوق من الأنبياء والأولياء مميّزاً

بين الحقيين، وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته، وفي حال القلب أيضاً وعبادته وقصده وإرادته ومحبته ومولاته وطاعته، فهذا من تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن معنى الإله: ما تأله القلوب بالمحبة والتعظيم والإجلال والخضوع والرجاء والالتجاء والتوكل والدعاء وذبح النسك له، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [وسيقولون] لمن أحبه كحب الله: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. إذ نسويكم برب العالمين، وهم ما ساووه به في الصفات ولا في الذات ولا في الأفعال، كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، وإنما ساووه به في العبادة.

والشاهد لله بأنه لا إله إلا هو، وقائلها نافياً في قلبه ولسانه ألوهية كل ما سواه من الخلق، ومثبتاً الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق، يكون معرضاً عن تأليه جميع المخلوقات، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسموات، وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله تعالى، ومفارقة في ذلك ما سواه، فيكون مُفَرِّقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادته ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق، بحيث يكون عالماً بالله ذاكرةً له، عارفاً بأنه تعالى مبين لخلقه منفرد

عنهم بذاته وصفاته وأفعاله، وعبادة خلقه له ؛ فيكون محباً له مستعيناً به لا بغيره، متوكلاً عليه لا على غيره، ممتنعاً عن دعاء غيره أو سؤاله ما لا يقدر على إيجاده أو دفعه أو رفعه إلا الله، فلا يجعل ما هو مختص بجلاله تعالى لغيره، وهذا المقام هو المعني في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وهذا من خصائص ألوهيته تعالى التي يشهد له بها عباده المؤمنون.

أكثر الكفار معترفون بوحداية الله في ربوبيته :

أما رحمته تعالى لعبيده وهدايته إياهم، وخلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الآيات، فمن خصائص ربوبيته التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر، حتى إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله: ﴿رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾، وقوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، وقوله: ﴿رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾، وأمثال هذا الخطاب الذي يعترف فيه بأن الله ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه، وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله محق، وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى وهم له بها يعترفون، قال الله عز وجل آمراً نبيه ﷺ أن يسألهم عن ربهم الذي خلقهم ورزقهم ويحييهم ويميتهم ويدبر أمورهم كلها، فإذا عرفوه واعترفوا به استحق أن يُخصَّص بالوحيته، فلا

يدعوا مع الله إلهاً آخر، بل يتركوا تلك الآلهة التي يدعونها ويرجونها
ويذبحون لها لَتُقَرَّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فهم قد أقرروا واعترفوا بأن الله
سبحانه خالق الأشياء كلها وموجدوها ومالكها، وأنه النافع الضار
المعطي المانع الذي لا رازق سواه ولا قابض ولا باسط إلا هو وحده،
لا شريك له في ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بل إِيَّاهُ تَدْعُونَ
فَيُكْشَفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وقال تعالى:
﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ
إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾، الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ
دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾،
وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

وروى الترمذي^(١) عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال لأبيه:

(١) في سننه (٣٤٨٣).

«يا حصين كم إلهاً تعبد؟» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: فمن الذي تعدّ لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء، فقال له رسول الله ﷺ: «أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن» فأسلم فقال له: قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شرّ نفسي».

فمجرد معرفتهم ربوبيته تعالى واعترافهم بها لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقريبهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عند الله، فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وقد وصف الله سبحانه دين المشركين فقال فيه: ﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾، وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وقال تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾، وقال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، وسيُظهر تعالى المحق على المبطل بحكمه بين الفريقين غداً، كما قال تعالى: ﴿إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون﴾.

وفي صحيح البخاري ومسلم^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: قلت ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قال: قلت ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾. فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنب الشرك بالله الذي هو جعل الأنداد واتخاذ الأولياء ودعاؤهم ليقربوهم إليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»^(٢)، فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

أقسام الشرك:

والشرك شركان: شرك أكبر، وهو الذي تقدم بيانه آنفاً، وهو محبط للأعمال موجب للخسران والخلود في النيران، إلا بالتوبة منه والرجوع إلى دين الإسلام.

(١) البخاري (٦٠٠١)، (٤٧٦١)، (٦٨٦١)، (٧٥٣٢)، ومسلم (٨٦) (١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) (١٠) دون قوله: «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» وهي في هذا الحديث موجودة عند مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠، وأحمد ٢/ ٣٢٧.

وشرك أصغر، كالرياء، والسمعة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(١)، ومنه: [الشرك اللفظي]، روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر^(٢) عن النبي ﷺ أنه عندما قال رجل ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده»، وروى الإمام أحمد في مسنده أن رجلاً أتى به قد أذنب ذنباً وهو أسير فلما وقف بين يدي النبي ﷺ قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله»^(٣). [ومنه الحلف بالشرف وبالأمانة وبالأباء وبالنبي لعموم قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(٤)].

والشرك الأصغر ذنب تحت المشيئة كسائر الذنوب بل من أكبرها لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وحديث: «أي الذنب أعظم»، ولكن لا يكفر مرتكبه ولا يخرج من ملة الإسلام إذا لم يستحل فعله.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخطأ المصنف في عزو هذا الحديث إلى الإمام أحمد وأبي داود من حديث ابن عمر، والصواب أنه من حديث ابن عباس عند الإمام أحمد ١/ ٢١٤، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٥ من حديث الأسود بن سريع.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر. قال الترمذي: حديث حسن.

التوسل المشروع:

شرع الله لخلقه التوسل إليه بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين إليه بإيمانهم في قولهم: ﴿ربنا إنا سمعنا متادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾، وتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، وهم الثلاثة نفر الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة التي تُقربهم وتُحببهم إلى ربهم فأنقذهم، رواه البخاري في صحيحه^(١)، لأنه وعد أنه يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، وكسؤاله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، وكالأدعية الماثورة في السنن: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»^(٢)، وأمثال ذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾، فإنها القرية التي تقرب فاعلها إلى الله وهي الأعمال الصالحة، كما روى البخاري في صحيحه^(٣) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا

(١) رقم (٢٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد ١٢٠/٣، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي ٥٢/٣.

(٣) رقم (٦٥٠٢).

أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا همَّ أمر فزع إلى الصلاة^(١)، فإنها أعظم القرب إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. وليست الوسيلة جاه مخلوق يُجعل واسطة بين الله وبين خلقه فهو مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى صلاة الله وسلامه عليه: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، فإن قصدهم التقرب به إلى الله بدليل قوله تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

[الإقسام على الله بخلقه]:

وأما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهى عنه باتفاق العلماء، وهل هو منهى عنه نهى تنزيه أو تحريم؟ على قولين، أصحهما: أنه نهى تحريم، قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا ينبغي لأحد أن يدعو إلا به [أي بالله]، وأكره بمعاقد العز من عرشك، وبحق خلقك، وقال أبو يوسف: وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، قال [ابن تيمية] رحمه الله: المسألة بحق المخلوق لا تجوز فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق

(١) أخرجه بنحوه أبو داود برقم (١٣١٩).

للمخلوق على الخالق، قال تعالى: ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾. فإذا وإلى العبد ربه وحده أقام له ولياً من الشفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله، بخلاف من اتخذ مخلوقاً من دون الله، فهذا لون وذاك لون، كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع، والشفاعة الحق الثابتة نوع، وهذا موضع فرقان بين أهل التوحيد وأهل الشرك بالله، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

[عمارة القبور والمقامات والأضرحة ودعائها كبيرة، لا وسيلة]:

إن مما استدل به الذين يدعون مع الله غيره من القبور والأموات، ويقولون المراد الوسيلة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتَقْضَى، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ» رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه عن عثمان بن حنيف قال: جاء رجل ضرير إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي أن يعافيني، فقال: «إن شئت اخترت لك وهو خير، وإن شئت دعوت لك» قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء، قال الحاكم صحيح^(١). [وفيه مقال].

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٨٥)، والترمذي (٣٥٧٨)، والحاكم ٣١٣/١ و٥١٩. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وهذا الحديث لا دليل فيه لهم لوجه:

الأول: أنه في غير محل النزاع، فعملهم اختراع منكر، وردت الأحاديث بحرمته، وهو عمارة القبور والقاء الستور عليها وتسريحها [والتقرب بها وبناء المساجد عليها]، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم، حتى ابن حجر الهيتمي بين أن حد الكبيرة: ما أتبع بلعنة أو غضب أو نار، وقد لعن رسول الله ﷺ فاعله:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١)، ولمسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢)، وفي صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»^(٣)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٠) (٢١). (٣) أخرجه مسلم (٥٣٢) (٢٣).

كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١)، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً، متفق عليه، وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»، رواه الإمام أحمد وأهل السنن^(٣)

هذا حال من سجد لله عند القبر، فكيف بمن سجد للقبر نفسه أو دعاه، وعدل عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع الجاهل والطغام التي وضعوها لأنفسهم بتلبس إبليس عليهم، فزُيّنت لهم وطابت بها قلوبهم، من تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من عبادتها ورجائها والالتجاء إليها والتوكل عليها والنذر لها، وكتب الرقاع فيها وخطاب الموتى بالحوائح: (يا سيدي يا مولاي إفعل بي كذا وكذا)، وأخذ ترابها وجعل الخرق عليها تبركاً، وإيقاد السرج عليها وتقيلها

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣) و(٣٤٥٤) و(٤٤٤٣) و(٤٤٤٤) و(٥٨١٥) و(٥٨١٦)، ومسلم (٥٣١) (٢٢).

(٢) أخرجه أحمد ١/٤٠٥ و٤٣٥ و٤٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ١/٢٢٩، وأبو داود (٣٢٣٦)، وابن ماجه (١٥٧٥)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي ٤/٩٤-٩٥. ورواية ابن ماجه دون قوله: «المتخذين عليها المساجد والسرج» وقد حسنه الترمذي مع أن فيه أبا صالح باذام وهو ضعيف.

[والتمسح بها]، وتحليتها وشد الرحال إليها. ومثل ذلك إلقاء الخرق على الشجر ودعاؤها والذبح والنذر لها، اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل كل الويل عندهم لمن عاب أو أنكر عليهم.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين الذين عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً، ودعاء القبور عند المهمات شرك بالله عز وجل قد ذكرنا أدلته فيما تقدم.

وقد كان سبب نزول قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مجيء خبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، وقوله: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقولون: ما شاء الله وشاء فلان، فقال ﷺ: «أما إنه قد قال حقاً» فأنزل الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير الآية^(١). وعن قتيلة، امرأة من جهينة قالت: أتى يهودي إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وتشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ورب الكعبة، وما شاء الله ثم شئت؛ رواه النسائي^(٢)، وقد أقر النبي ﷺ قول يهودي أن هذا شرك، فكيف حال

(١) وعزاه إلى ابن سعد من حديث قتيلة بنت صيفي.

(٢) في سننه ٦/٧.

من نادى عند المهمات غير الله، إذ هو داخل تحت قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾، وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله، وإن زعم أنه لا يحبه كحب الله فشواهد الحال تشهد عليه بذلك، فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ويحلف بالله كاذباً في أي محل، ولا يحلف عند القبر كاذباً، فلا جامع بين ما استدلوا به وبين ما نهوا عنه.

الثاني: أن الحديث دليل لما قدمنا من أنه لا يُدعى غير الله عز وجل، فإن مسألة «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك»: المسؤول الله عز وجل، وإنما توجه بشفاعته نبيه في حياته، ونهايته سؤال الله عز وجل أن يشفعه فيه، فمستله سؤال الله عز وجل، ونهايته سؤاله سبحانه، ومعناه: أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته بدعائه، ولهذا قال في تمام الحديث: اللهم شفعه فيّ، وهذا متفق على جوازه، وقد مضت السنة أن الجي يُطلب منه الدعاء، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، سواء كان بلفظ الاستغاثة أم بغيرها، ومنه ما قص الله عن الاسرائيلي المستغيث بموسى على القبطي في قوله: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى﴾، وكاستشفاع أهل الموقف بالأنبياء، يسألونهم أن يشفعوا إلى الله [ليتضي الله في أمرهم].

أما المخلوق الغائب أو الميت فلا يُستغاث به ولا يطلب منه وإنما غاية طالب الشفاعة عند الله عز وجل أن يُشفع نبيه فيه، وهو

ﷺ قد انتقل من هذه الدار إلى دار القرار، بنص الكتاب والسنة واجماع الأمة، ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبدالمطلب وسألوه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط، أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده، مع أنه ﷺ حي في قبره حياة برزخية أعلى من حياة الشهداء.

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن النبي ﷺ لا يُسأل بعد موته لا استغفاراً ولا دعاءً ولا غيرهما، فإن الدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع ولو كان هذا من العبادة لسنة رسول الله ﷺ، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ نزل في حياته، فإتيانهم له ﷺ للاستغفار مخصوص بوجوده في الدنيا، لهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين [بعد موته] مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم، وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله، وأحرص اتباعاً لملكته من غيرهم، بل كانوا ينهون عنه، وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده، منهم الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهم من خير القرون التي نص ﷺ على فضلها في قوله: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري أذكر اثنتين أو

ثلاثاً بعد قرنه رواه البخاري في صحيحه^(١).

الثالث: أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله تعالى بغير محمد ﷺ، فلا دليل فيه أصلاً، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق، فلا يجوز لنا أن نقول: اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح، يا رسول الله يا نوح إلى آخره، ولا أن نقول: اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك بخليك إبراهيم إلى آخره، ولا أن نقول: بكليمك موسى، ولا بروحك عيسى، ونحن نقول: إن الجامع في نوح عليه الصلاة والسلام الرسالة، وفي إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكلام مع الرسالة، وفي موسى عليه الصلاة والسلام كونه روح الله وكلمته مع الرسالة، فليس لنا هذا لأنه: أولاً: لم يرد ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد، وثانياً: إنما أبيع القياس عند من يقول به للحاجة في حكم لم يوجد فيه نص، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به، ولا حاجة لنا إلى قول مخترع، خصوصاً مع ما ورد في الشرك وأنه في هذه الأمة أخفى من ديب النمل.

الرابع: أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الله ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) و(٣٦٥٠) و(٦٤٢٨) و(٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥).

يستنقذوه منه ﴿ بل هذا شرك بالله .

شبهة وجوابها :

وجعلوا دليلهم مع ما تقدم بعد ارتكابهم أكبر المناكر رواية : «يا عباد الله أعينوني»^(١) ورواية : «يا عباد الله احبسوا»^(٢)، وهذا من جملة الجهل والضلال وإخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه :

أولها : أن هذه ليست بوسيلة أصلاً إذ معنى الوسيلة ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل ، وهذا ليس بقربة لأنه ورد في أذكار السفر أن العبد إذا أراد عوناً ، بمعنى أنه عجز عن حمل متاعه أو انفلتت دابته فقد جعل الله لعونه عباداً أحياء من الجن أو من الملائكة أو ممن لا يعلمه سواه : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ ، واستعماله في كل المهمات من أعظم الجور .

وإن أراد - فيما ورد الحديث به خاصة - امتثال قول رسول الله ﷺ ، فقد يكون بهذه الإرادة قربة ، ولا دلالة فيه أن ينادي عبدالقادر الجيلاني [أو أحمد البدوي أو غيرهما] من قطر شاسع بل ولا من عند قبرهما ولا ينادي غيرهما لا الأنبياء ولا الأولياء ، إنما غايته أن العبد يقول كما قال رسول الله ﷺ : «يا عباد الله» ولو نادى شخصاً باسمه

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧ / (٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٨).

معيناً فقد [خالف أمر] رسول الله ﷺ ونادى من لم يؤمر بندائه، وليس ذلك في كل حركة وسكون وقيام وقعود، وإنما أبيح له ذلك إن أراد عوناً على حمل متاعه على الدابة أو إذا انفلتت منه.

وثانيها: أن الحديثين غير صحيحين. أما الأول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عتبة رضي الله عنه، وحديث انفلات الدابة عزاه النووي لابن السني وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن عدي: منكر الحديث، ولا دليل في الحديثين مع ضعفهما ولا في الحديث المتقدم قبلهما على شيء مما يفعله عبّاد القبور من دعائها ورجائها، والتوكل عليهما، والذبح والنذر لها، والتهف بذكر من فيها عند الشدائد.

وثالثها: أن الله قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ فبعد أن أكمله بفضله ورحمته لا يحل لنا أن نخترع فيه ما ليس منه، ونقيس ما لا يقاس عليه.

ورابعها: أن الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة فكيف يعمل بالحديث المتكلم فيه فيما لا يدل عليه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام، فهذا هو البهتان.

الخامس: أنهم عمروا مواقفهم بذكر من يعتقدونه، ونسبوا الأفعال إليهم، وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان ومن أنجده وكشف شدته فإذا قال أحد: ﴿سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾،

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ قامت عليه الجماعة، وقالوا معلوم: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، فإذا قال: نعم، وليس بيد أحد منهم ملكوت خردلة، والله يقول: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾، والقطمير: القشرة اللطيفة تكون على النواة، ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾، فإذا كان فيهم من يدعي العلم والإنصاف وهو واسع الصدر يقول: هذه الآية نزلت في عبّاد الأصنام، فإذا قيل له: نعم الأصنام، ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين، وهذه الخرق على التواييت هي فعل عبّاد الأصنام وقد قرر أهل العلم أن العام لا يقصر على السبب، فإذا قيل أدوا الأمانة فإنه تعالى يقول: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات﴾ فلا نقول: هذه نزلت في مفتاح باب الكعبة فلا نحتج بها؛ كذلك لا نقول: هذه نزلت في عبّاد الأصنام، ونفعل فعلهم ونقول: لسنا بمشركين، وفي الأحاديث القدسية عن سيد البرية: «قال الله عز وجل: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري وأرزق ويُشكر سواي»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله عنه^(١)، فيجيب: بأن الأمة مطبقة على هذا والأمة لا تجتمع على ضلالة، ويلزم من ردّ هذا تضليل الأمة وتسفيه الآثار،

(١) برقم (٤٥٦٣).

فيجاب عليه : أما أن الأمة مطبقة على هذا فكذب على الأمة، وليست بمطبقة على هذا، وهذه كتب التوحيد في كلّ مذهب وكتب الحديث والتفسير ليس فيها أنه يُدعى غير الله عز وجل ولا يُسن ولا يُستحب ولا ينبغي ولا يجوز ولا يباح، بل الآيات البينات والأحاديث وأقوال العلماء ترشد إلى أن هذا شرك محقق، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ويقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّي أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

السادس : قد اختلف في التوسل إلى الله بشيء من مخلوقاته، فقال أبو محمد بن عبد السلام في فتاويه أنه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم، وتوقف في حق نبينا ﷺ لاعتقاده أنه ورد في ذلك حديث، ولكن لم يعرف صحة هذا الحديث، وتقدم قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى.

السابع : أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقده، ويجعلون له النذور، وإذا جاء المولود جعلوا لمن يتنسب إلى ذلك المعتقد طعاماً، وقد أوحى إليهم الشيطان أن يجعلوا زوايا لمن يعتقده، وفيها جماعة ينسبون أنفسهم إلى ذلك كالعلوانية، والقادرية والرفاعية، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، بل قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، في الكتب المنزلة كالطورا والإنجيل، ﴿وفي هذا القرآن، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإذا مرض هذا المشتري من

المعتقد، نذر أهله النذور، ولم يزل يستغاث به ليشفي سقمه، ويكشف شدته، ولم يلتزموا في فعلهم هذا أن يكون المشتري منه الولد ميتاً في تلك البلدة، بل يشتري أهل مكة أولادهم من عبدالقادر الجيلاني المدفون في العراق، ومن الجبرتي المدفون في زبيد؛ ويجهلون قوله تعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾، فإن الشراء [لا يكون إلا] ممن يملك الشيء.

وهذا الأمر سار في العلماء والجهال، فهم قد غلبت عليهم العوائد وسلبت عقولهم من تفهم المراد والمقاصد، ولم يجدوا هذا في كتاب أحد من الأئمة، صانهم الله عن هذه الوصمة، فما استدلوا به مما تقدم لا يكون دليلاً على التوسل بالأموات المعلوم حالهم أنهم في أعلى الجنان فكيف غيرهم ممن لا يعلم حاله ولا يدري أين ماله، أم كيف يكون دليلاً على دعاء غير الله تعالى في المهمات ثم يقال: المراد الوسيلة ويستدل لها بهذا؟ ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ وتحريف للكلم عن مواضعه.

فيهذا تبين أن الشيطان اللعين [زَيْنَ للجاهلين] نصب قبور يعظمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله، ثم أوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها - والحالة هذه - أوثاناً، فقد انتقصها، وغمصها حقها، وسبها؛ فيسعى الجاهلون في قتالهم

وعقوباتهم، وما ذنبهم إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ونهوههم عن الشرك بأنواعه، وقالوا بتعطيله؛ فعند ذلك غضب الجاهلون واشمأزت قلوبهم وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب.

ويسري ذلك في نفوس الجاهل والطغام، وكثير ممن يتسبب إلى العلم والدين وحب الأولياء واتباع المرسلين.

بسبب ذلك عادونا، وبالعظائم والكبائر والجرائم الغزار رمونا، ونسبوا كل قبيح إلينا ونفروا الناس عنا وعمّا ندعوا إليه، ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه، ويأبى الله ذلك ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾ الموافقون له العارفون به وبما جاء به والعاملون به، والداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دينه وهديه وسنته، ﴿ويبينونها عوجاً﴾، ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وأنهم يتقربون إلى الله ويعظمون الأنبياء والأولياء، وهم أعصى الناس لهم وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعيهم، كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى والرافضة مع علي.

وأهل التوحيد أينما كانوا أولى [بالأنبياء والأولياء ومحبتهم] ونصرة فريقهم، واتباع سنتهم وهديتهم ومنهجهم، وأولى بالحق قولاً وعملاً

من أهل الباطل، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم من بعض.

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشيطان وشركه، الذي يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب، وكذلك من أصغى إلى كلام الله تعالى وإلى حديث الرسول ﷺ بكلية وحدث نفسه بهما، وعمل باقتباس الهدى والعلم منهما لا من غيرهما أغناه ذلك عن البدع والشرك والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات، التي هي من وساوس الشياطين والنفوس وتخیلات الأهواء، ومن بعد عنهما فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه، بل يضره.

كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وذكره وخشيته والتوكل عليه، أغناه عن عشق الصور وإذا خلا قلبه من ذلك عبد هواه، وأي شيء استحسسه ملكه واستعبده، فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عابد للصور شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى.

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي، واسمه حيّان بن حصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبغئك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا

قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١) وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها^(٢)، وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، قال الشافعي في الأم: رأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبنى على القبور. ويؤيد الهدم قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، وحديث جابر الذي في صحيح مسلم: «نهى ﷺ عن البناء على القبور»^(٣).

ولأنها أسست على معصية الرسول، لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها، فبناء أسس على معصيته ومخالفته ﷺ بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً، وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً، إذ المفسدة أعظم، وحماية للتوحيد^(٤)، [وسدّاً لذريعة الشرك]. والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٠) (٩٤).

(٤) إغاثة اللّهفان لابن القيم رحمه الله، من عدة مواضع.

(٥) الدرر السنية، ج ٢ ص ٧٩، ٩٤ جمع وترتيب محمد حامد الفقي رحمه الله.

الفهرس

٣	تقديم
٦	تعريف بالمؤلف
١١	مقدمة
١٢	حق الله
١٣	حق الأنبياء
١٣	حق الأولياء
١٤	الدعاء هو العبادة
١٤	شرك الواسطة هو الشرك الأكبر
١٦	إفراد الله بالعبادة
١٨	أكثر الكفار معترفون بتوحيد الربوبية
٢١	أقسام الشرك
٢٣	التوسل المشروع
٢٤	الإقسام على الله بخلقه
٢٥	عمارة القبور كبيرة
٣٢	شبهة وجوابها